# نحو تربية إسلامية

بقلم
أ. د/ محمد عبد الحميد سعد
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

أحمد الله وأصلى وأسلم على رسول الله .

وبعد : فهذه أفكار عن المناهج التى نستطيع من خلالها أن نتجه نحو تربية إسلامية لأبنائنا فى مراحلهم السنية المختلفة من طفولة مبكرة ، وطفولة متأخرة ، ومراهقة ، وبلوغ وهى فترة طويلة من عمر الإنسان تبدأ فيها حياته وتنمو وتترعرع ، وتصل إلى حد الاستفادة منها فى بناء المجتمع ، وهى الفترة التى يتم فيها تكوينه ، وتدرجه وامتصاصه لكل مافى الحياة من خيرها وشرها ثم تمثله ثم إفرازه على هيئة أعمال خيرة أو شريرة نافعة أو ضارة له ولمجتمعه .

إذن فهذه الفترة هى أخطر ما يمر به الإنسان فى حياته وعليها يتوقف عطاؤه لنفسه ، ولمجتمعه ، ولأمته الإسلامية ومن ثم يجب أن يتعمق الباحثون فيما يلى : -

(ا) دراسة نفسية الإنسان فى هذه الفترة من عمره .

(ب) دراسة بيئته وعمل كل ما فى الطاقة لجعلها صالحة .

(ج) دراسة الوسائل التى تؤثر فى إعداده ليكون عضوا خيرا مفيدا كما رسم الإسلام .

(د) إزالة كل ما يعوق الوصول إلى هذا الهدف .

ولما كان موضوعى هو : محتوى المناهج فى التربية الإسلامية . كان على أن أبين الهدف الذى يرمى إليه الإسلام حتى نستطيع أن نتوجه بالتربية الإسلامية إلى هذا الهدف بواسطة مناهج تحتوى على خطوات عملية مدروسة للوصول إلى ذلك الهدف . فما هدف الإسلام ؟

الإسلام هو الدين الذى نزل به الروح الأمين من رب العالمين إلى سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه إلى الثقلين : الإنس والجن بصورة عامة شاملة لصلاح العالمين وسعادتهم . وكتابه الخالد هو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وقد اشتمل على كل ما أراد الله سبحانه وتعالى بتبليغه للبشرية بواسطة الرسول الخاتم ليكون منهج حياتهم . وإلى جانب ذلك هناك السنة المطهرة من أقوال وأفعال وتقريرات . وهذان هما المنبعان الثران الصافيان الأساسيان وبجانبهما ما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وما اتفق عليه أئمة السلف والخلف جيلا بعد جيل مما لا يتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله .

وهما رغم مرور خمسة عشر قرنا من الزمان عليهما صالحان لكل زمان ومكان ويستوعبان كل جديد فى الزمان والمكان ، يقودانه ويصهرانه فى بوتقة الإسلام التى تنفى الخبيث ولا يمكن أن يكون الإسلام مستجيبا لكل تغيير لأن الإسلام ليس مقياس حرارة ، ولا أداة ترصد اتجاه هبوب الرياح فى المتغيرات الإنسانية بل هو يقر التغيير حقيقة واقعة ولكنه يتحول به إلى اتجاه سليم صحيح ، ومن وظائفه : أن يميز بين تغير سليم وآخر غير سليم وبين نزعة هدامة وأخرى بناءة فيرسخ البناءة ويقوم ويقاوم الهدامة .

ومن وظائفه : أن يكون متصلا اتصالا مباشرا بالحياة وإذا فقد

الإسلام هذه الوظيفة فى وقت من الأوقات فالعيب ليس فى الإسلام ولكن فى أتباعه الذين يقطعون أنفسهم عن قيادة مسيرة الحياة فى مجتمعهم لتصبح كلمة الإسلام هى العليا .

ومن وظائفه : أن يفكر أتباعه فى حل مشكلات الحياة مهتدين بهديه سائرين على مارسم لهم من طريق قويم ، فإن قصر هؤلاء فى هذه المهمة فاللوم عليهم وهو انحراف فى سلوكهم يجب على أولياء الأمور أن يقوموه بأية طريقة تتمشى مع الإسلام .

ومن وظائفه : أنه يقود كل عصر ويقرر متطلباته العادلة والخيرة والمشروعة . وما من نظام أعدل ولا أنصف من الإسلام . فلقد اهتم بكل شىء من جوانب حياة الإنسان وهو يناشد العقل ويخصه دائما على البقاء نشطا ، ويؤكد على رجال العلم أن يكونوا أكثر تضحية من غيرهم ، وأن يكونوا مستعدين فى سبيل دينهم أن يعيشوا حياة قاسية صارمة ولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وتابعيهم والمخلصين من أهل الإسلام القدوة الصالحة .

إن الإسلام لابد أن يكون فى مكانه الخاص المتميز فى العالم المتغير ، ولن يتجه العالم الوجهة الصحيحة إلا تحت قيادة الإسلام بكل ما ينطوى عليه من إيمان يخضع العالم لمراقبته ، وعمل يثرى الحياة الإنسانية تحت راية التوحيد .

وإذا كان هذا هو الهدف الذى من أجله جاء الإسلام عاما شاملا لجميع الخلائق من إنس وجان ، وهو أن يقود العالم جميعه إلى الخير والحق والحياة الهانئة بكل ما فيها من أغيار فلا أقل من أن نطبق نحن منهج الإسلام فى حياتنا ، وان يتحقق ذلك إلا بتربية أبنائنا تربية تحترم كل ما وهبهم الله ،

وتقودهم إلى طريق السعادة فى الدارين أفرادا وجماعات . دون أن يطغى حق الفرد على حق الجماعة ، ولا حق الجماعة على حق الفرد .

وفى هذا المجال لابد أن نركز على ما يلى :

( ا ) توجيه العلوم والمعارف بمختلف أنواعها وموادها منهجا وتأليفا وتدريسا وجهة إسلامية فى معالجة قضاياها والحكم على نظرياتها ، وطرق استثمارها حتى تكون منبثقة عن الإسلام متناسقة مع التفكير الإسلامى السديد .

(ب) الربط بين العلم والدين فى جميع العلوم التطبيقية ؛ لأن هناك فرقاً بين التفسير المادى البحت والتفسير المؤمن الواعى لظواهر الكون وأسرار الخلق ، فإذا كان العالم مؤمنا فإنه يربط بين العلم والدين ربطا يلفت إلى الله وقدرته وعجائب صنعته التى لابد أن تنتهى إلى القوة العليا إلى الله سبحانه وتعالى ، فإذا لم نفعل ذلك أدى الأمر إلى الانفصام فى شخصية الأمة الإسلامية .

( ج ) تكوين الفكر الإسلامى المنهجى لدى الأفراد ليصدروا عن تصور إسلامى موحد فيما يتعلق بالكون والإنسان والحياة ، وما يتفرع عنها من تفصيلات .

( د ) الاتجاه نحو فكر تربوى إسلامى ، ومنهج تربوى غير مستورد يرتكز على ما سار عليه علماء الإسلام فى التربية مع النظر إلى المتغيرات التى أشرنا إلى أن الإسلام يحتويها ويقودها ويوجهها . علما بأن مدارس التربية القديمة والحديثة فى أوربا وأمريكا قد رسمت أمثلة متناقضة باعتراف أهلها ، وهى مع هذا التناقض قد عجزت أن تحول المثال إلى واقع .

أما التربية الإسلامية بمنهجها المتكامل فقد حققت ما يشبه المعجزات في تكوين أجيال من المسلمين قادوا البشرية إلى أعظم مدارج الرقي في الحضارتين المادية والمعنوية مع الالتزام الكامل بما شرع الله وعمل به رسوله وقد كان العالم من هؤلاء في أي فرع من فروع العلم تجسيداً حيا للإسلام فهو إسلام يمشي على رجلين وإني أتساءل ؟ إلى متى نظل ننتزع أبناءنا من أحضان الفكر الإسلامي لنرميهم في هوة الفكر الغربي أو الشرقي الذي لا يرون فيه إلا أشباح « روسو » و « ديوي » و « فرويد » ومن غيرهم.

(هـ) توجيه المجتمع كله وبخاصة أدوات التوجيه والاتصال فيه من صحافة ، وإذاعـــة مسموعة ومرئية ، ودور خيالة ، ومسارح ، وكل ما استحدث من أجهزة النقل والاتصال توجيها إسلاميا خالصا يتوخى روح الإسلام في إطاره الصحيح وذلك بتنقية العقيدة ، وعدم نشر أو ترويج ما لا يتواءم معها ، وبرسم طريق سليم لسلوك الفرد والمجتمع .

(و) العمل على إيجاد القدوة الصالحة في كل من البيت ، والشارع ، والمدرسة ، وكل مجالات الحياة . وذلك بجعل هذه الفئة الصالحة هي التي تطفو على سطح المجتمع وتكون واجهته ؛ لأن المجتمع يقاس بما يطفو على سطحه فإذا طفا الصالحون كان المجتمع صالحا والعكس صحيح ، أما أن يكون القدوة ، والواجهة ، والذين يجذبون أجيال المجتمع هم الراقصين والراقصات والمنافقين والمنافقات ومن في حكمهم ممن يعف قلمي عن ذكرهم فقل على جهود التربية العفاء .

وإذا كانت التربية بمعناها الشامل عند علماء التربية غير الإسلاميين هي العملية المقصودة أو غير المقصودة التي اصطنعها المجتمع لتنشئة الأجيال

الجديدة فيه بما يجعلهم على وعى بوظائفهم فى المجتمع ودور كل منهم فيه وذلك عن طريق إكسابهم مجموعة من المهارات والقيم والعادات وأنماط السلوك وطرق التفكير التى تسهل لهم التعامل مع بيئتهم ضمن الإطار الثقافى للمجتمع الذى يضم مجموعة الأفكار والنظم والمؤسسات والقيم والتقاليد. وأنهم يركزون على مراعاة القيم والتقاليد حتى ولو لم تكن فى قوة ونقاء وقدسية ما جاء به الإسلام الحنيف فلا أقل من أن نراعى هذا مع ديننا الإسلامى فنجعله هو المتجه وهو الهدف، فننهل من تراثنا الثقافى لنصبغ به حاضرنا كى يكون عونا لنا على قيادة المستقبل. وإذا كانوا يعدون إكساب الفرد الثقافة ببعديها: المعارف والسلوكيات أى العلم والمعرفة أى أسلوب حياته فى المجتمع يعدون إكسابه ذلك من أهم أهداف التربية فعلينا نحن المربين الإسلاميين أن نقود المسيرة ونجعل الثقافة ثقافة إسلامية حتى يكون لنا بها العز والسؤدد.

هذا عن السياسة العامة لمحتوى المناهج فى التربية الإسلامية كما أتصورها أما تفصيلات تلك المحتويات فى المراحل السنية المختلفة فهذا ميدان له فرسانه المتخصصون فيه فليستكتب مجموعة من المتخصصين فى تلك المراحل والذين يتمتعون بشخصية إسلامية قيادية فى هذا المجال بحوثا متخصصة كل فى مجال تخصصه فى مرحلة من المراحل السنية على أن تكون تلك البحوث ثماراً لغرس إسلامى يكون فيه الخير والنماء والتقدم للمجتمع الإسلامى والبشرية جمعاء.

والحمد لله أولا وأخيرا وهو مولانا ونعم النصير.

د. محمد عبد الحميد سعد
أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها
بكلية الدراسات الإسلامية